بقبق الكسلان

مسرحية من فصل واحد

الشخصيات: بقبق شاب حالم بائع متجول رقيق الحال يحمل قفصا به ثلاثة أباريق من البللور الملون ·

كورس

المكان : شارع نظيف فى أحد أحياء بغداد المتطرفة الراقية ·

الزمان : وقت القيلولة فى أحد أيام بغداد الخيالية ·

بقبق : (يدخل حاملا قفصا به ثلاثة أباريق بللورية ملونة وهو يترنح فى حر القيلولة) آه · تعبنا من الركل والصفع والشتم والجرى وراء رزق عسير · آن لى أن أستريح · هنا · (يضع القفص على مصطبة تظللها مشربية أنيقة ، ويتمطى ثم يتمدد بتلذذ واضح) هاه· سأنام القيلولة · كما فى قصور الامراء · (يضع ساقا على ساق وهو راقد ويطوح بنعله بهزة من قـــدمه) ياولد ! الفساقى ترش مــاء معطرا · ولا بأس من التدليك اللذيذ بأيدى الجوارى الحسان بالمســـحوق المرطب · هنا ، وهنا (يلمس مواضع من جسده) ويغنين ·· (يغنى) أراك عصى الدمع شيمتك الصبر · (صوته يرتفع) أما للهوى نهى عليك ··

صوت : (آمر من الخارج) أرجموا هذه الزوبعة !

أصوات : (مختلطة من الخارج) اسكت · اخرس !

بقبق : (يفيق من نشوته مذعورا) ياحفيظ ياحفيظ ·· (ينهض ويقترب حذرا من المشربية ليسترق النظر منها) ياه·

الرجل عريان ! مجانين هؤلاء الأثرياء • يملك الواحد منهم مثل هذا القصر ويقعد فيه عريان • لو أنى فى محله كنت لبست حلة موشاة بالفضة ، وفوقها حلة موشاة بالذهب ، فوقها حلة مرصعة بالياقوت ، فوقها حلة مرصعة بالماس •• حر أولا حر • أتمتع (ينتقل الى مشربية البيت المجاور ويسترق النظر منها) ماذا يأكل هؤلاء ! (يطير فرحا) البطيخ المثـــلج ! أحبهم لما يأكلون ، أحبهم لما يشربون ، لما يعشقون ، لما يلبسون• لما يخلعون ، لما يسكنون ، لما يركبون ، لما يسمعون ؛ لما يحلمون •• أنا أحب النعمة ، أحب العظماء والوزراء والأثرياء نساء ورجالا •• نساءهم قبل رجالهم •• بل وأنتسب اليهم • ان لم يكن بالدم ، أو بالمصاهرة ، أو بالثراء ، أو بالشبه •• فبالكبر والعجرفة والغطرسة • نعم • أنا متغطرس !

كان أبى شحاذا بالنهار وسكيرا بالليل ، وعندما مات ترك لنا سبعمائة درهم وكنا سبعة اخوة • فأخذ كل منا نصيبه مائة درهم •

لما أخذت نصيبى فى التركة لم أدر ما أصنع بها ، فقد كنت عزيز النفس لا أميل للاشتغال بالصنائع المحتقرة •• (بازدراء) نجار • حداد • نساج • صباغ •• لا تصلح لفتى مثلى يتصف بالكبر ويحب العظمـــة • لذلك اخترت أن أشتغل بالأعمال الحرة • التجارة • التجارة مهنة أبناء الملوك والامراء • ووقع فى خاطرى أن أتجر فى البللور الملون الفاخر كما يفعل الشهبندر نفسه • اشتريت بدراهمى القليلـــة ثلاثة أباريق • (يريهم للجمهور) الازرق الثمين تحفة من أصفهان••

الأصفر النفيس يصلح لتكتنز فيه عطورها بلقيس ملكة سبأ · والاحمر منقطع النظير يصلح فدية لملك الصين فيفك أسره · ولما نزلت بها الى السوق الكبير طردني خدم التجار لرثاثة ثيابي ، ولأني أتعرض لزبائنهم وأعرض عليهم بضاعتي · ولما ملت الى السوق الصغير تجمع على المشترون من الفقراء · (اشارة تأفف) وأنا أصيح : البللور الصافي ! زينة القصور ! فأخذوا يقولون « اعرض علينا بضاعتك · أرنا ما تبيع » · فما هانت على نفسي أن أعرض عليهم أو أريهم شيئا ، وأنفت أن أمد يدا أو أحرك ساقا من رثاثتهم وتفاهة شأنهم ، فوضعت القفص على مصطبة كهذه في الطريق ورقدت جنبه (يتمدد بعظمة) وصرت من عزة نفسي وأنفتي وكبري أقول لمن يسألني : « انظر بضاعتي بنفسك · حاذر أن توسخها · اياك أن تكسرها » · فما ينظر الواحد منهم الى أباريقي حتى تعجبه فيسألني عن ثمنها فاقول له فيشتمني أشتمه يمسكني أمسكه · (يقبض بيده على ملابسه ، ثم يقبض بيده الأخرى على موضع آخر من ملابسه) ويصفعني أصفعه (يصفع نفسه بيد ثم بالأخرى) ، ثم أريه قلة شأنه ووضاعته وأفرج عليه الخلق ·· « ولما أنت جعان ولا تلقى اللقمة مالك بالاباريق البللور يا عديم النظر · رح أشتر سروالا واستر مقعدتك » ··

لا أحب الفقراء · تشمئز منهم نفسي · أعوذ بالله · أحب الاثرياء ، القصور ، الجند والاعوان ، الخدم والحشم · الأمر والنهي والزجر « رح ! تعال ! رح ! تعال » ·· وطعامهم ·· خروف مشوى بدهنه · فرخة

محمرة . حمام محشو بالخلطة . (يجـــأر) الديوك الرومى . آه . الهريسة .. « يمكن للممثل أن يضيف هنا الى ألوان الطعام مايشاء خاطره من ملذات بيئته بدون تطويل) .. والجوارى . ايشى أسمر ، ايشى أشقر ، ايشي ملفوف .. والصهللة بعد هـذا كله ! الرقص . الغناء (يرقص ويغنى وصوته يتعـــالى بالتدريج وهو يندمج)« فالى متى هذا التجنب والجفا . ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى . فقد اشتفى . فقد اشتفى » ..

صوت : (من الخارج) أرجموا هذا الخليع !

أصوات : (من الخارج) اخرس ! اسكت يامجرم ! رح فى داهية ! امش !

بقبق : (يفيق مذعورا) أهل هذا الحى لا يحبون الطرب ومع ذلك أعشقهم . هاه . (يتمدد بلتذذ فى عظمـــة) . أبغض شيء عندى الشغل . (يتمـــــرغ) آه ياولد ! الراحة ! الكسل اللذيذ . المرح (يدندن) ببببب بب . هوه . تشك تشك تشك ..

رأس مالى فى هذا البللور مائة درهم . سأبيعه بمايتين . ثم أشترى بالمايتين بللورا أبيعه بأربعمائة . ولاأزال أبيع وأشترى وأبيع الى أن يصير معى مال كثير . فأشترى به جميع ما يحلو لى من البضائع النفيســـة والعطور الغالية والجواهر النادرة ، وأبيعها فأربـــح ربحا عظيما جدا . وبعد ذلك أشترى دارا حســـنة ، والمـــاليك والخيل والسروج المذهبـــة وآكل وأشرب أغلى طعام وشراب . ولا أدع مغنية فى المدينة حتى أجيء

بها الى بيتى وأسمع أغانيها كلها وأعطيها أجرا سخيا. (اشارة لتسكت اعتراضا متوهما) خلها تفرح . ثم أبعث جميع الخاطبات ليخطبن لى من بنـــات الملوك والكبراء وبخاصة بنت الوزير ظافر بهرام نفسه ،فقد بلغنى انها كاملة الحسن رائعة الجمـــــال . فان رضى أبوها مهرتها بألف دينار وحصل المراد . (يندمج جدا) وان لم يرض أبوها أخذتها عنوة وقهرا على رغم أنفه ، وهددته وسلطت عليه مماليكى يهزءون منه فى الطريق .. « ياراجل يا عجوز ، منخارك قد الكوز » ، والعظماء من أصحابى يظهرون له عزة نفسى ويخوفونه من غضبى . فاذا ما وافق آخر الامر ، أشتريت عشرة مماليك صـــغار ، وألبســـتهم كسوة أولاد الملوك والسلاطين ، وأصوغ لى سرجا من الذهب الخــالص مرصعا بالجواهر . ثم أركب والمماليك يمشون قدامى، ويمشون خلفى ، ويمشون حــولى .. حتى اذا رآنى الوزير قام اجلالا لى وأقعدنى فى كرسيه وقعد هو فى المكان الاصغر . ويكون معى خادمان ، مع كل منهما كيس به ألف دينار .. (يشرد وهو يبحث عن حشرة فى ملابسه) الف ايه ؟ الف دينار . (وجدها ويلقى بها بعيدا) أعطى الوزير ألف دينار مهر بنته ، وأهدى اليه الألف الثانية انعاما منى عليه حتى تظهر مروءتى وكرمى وصغر الدنيا فى عينى .

ثم أنصرف الى قصرى . فاذا جاء لى رسول من قبـــل عروسى وهبت له نقودا وكسوته ملابس من عندى ، وأرجعه بهدية ثمينة الى سيدته . وان أرسل لى الوزير هدية رددتها اليه ولو كانت نفيسة ، ولا أقبلها منه ،

حتى يعلم هو وأهل بيته انى عزيز النفس صـــاحب كبرياء • ولا أجعل نفسي الا فى الصدارة وأعظم مكانة •• حتى اذا توددت اليهم فى أى وقت يعرفون أنى أفعل ذلك من فرط تواضعى وقوة خلقى •

وبعد مدة أصدر اليهم الامر بزفافها • ثم أصلح سرايتى اصلاحا ظاهرا ، ولا أبخل على زينتها بشيء • فاذا جاءت ليلة الدخلة لبست أفخر ثيابى وقعدت على سرير من الديباج • ولا ألتفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلى ورزانتى •

وتجيء امرأتى وهى كالبدر فى أتم زينة ، وعليها ثياب وحلى من أجمل وأحســن ما رأت عين بشر •• ولكنى لا أنظر اليها من كبريائى وغطرستى واعجـابى بنفسى : حتى يقول كل من حضر : « يا سيدى امرأتك وجـاريتك واقفة بين يديك فأنعم عليهـا بالنظر • لقد أجهدها الوقوف » • ثم يقبلون الارض قدامى مرارا • فعند ذلك أرفع رأسى وأنظر اليها نظرة واحدة • ثم أطوق برأسى الى الارض • فيمضون بها مكسورة الخاطر • وأقوم أنا فأغير ثيابى وألبس ثيابا أحسن مما كانت على ، وأعود الى مجلسى •

وبعـد الزفاف والغنـاء والرقص وانقضاء الليلة فى أتم بهجة وبذخ أصدر أمرى الى بعض الخـدم فيرمون كيسا فيه خمسمائة دينار • أو ألف لا يهمنى للمغنيات والراقصات والمواشط • وأنظر اليهن وهن يتشاجرن فى الأركان أثنـاء اقتسـامه • ثم أصيح فى أمها ـ امرأة الوزير ظافر بهرام نفسه ـ « أدخلينى

يا عجوز النحس على العروس » • فاذا أدخلتني عليها لا أنظر لها ولا أكلمها احتقارا لشأنها ، حتى يقال انى عزيز النفس ، وانى تيـــاه ، وانى متغطرس ، وانى ظالم ، وانى مستبد ، وانى مغرور بثروتى وجـــاهى وسلطانى ، وانى جبار ، وانى ابن أبالسه !

فاذا قبلت أمها رأسى ويدى وتوسلت الى وقالت ، « يا سيدى ، انظر الى جاريتك فانهـــا تشتهى قربك وعطفك ، واجبر خاطرها بكلمة منك » •• لا أرد عليها ، وألوى سحنتى وأتركها فى حيرتها وحزنها حتى تقوم وتقبل يدى ورجلى مرارا ، ثم تقول وهى تبـــكى : « ياسيدى ، ان بنتى صبيحة ومليحـــة ، ما رأت فى حياتها رجلا قط ، فاذا رأت فيك الانقبـاض والتجهم انكسر خاطرها ومرضت • أتوسل اليك أن تميل اليها وتكلمها » •• لا أجيبها بكلمة • ولا كلمة ! فتقـــوم وتحضر لى قدحا فيه شراب غال ، فتهب ابنتها وتتناول القدح من أمها وتقـدمه لى بنفسها ، فاذا اقتربت منى تركتها واقفة هكذا بين يدى ، وأنا مضطجع على شلتة مطرزة بالذهب الخالص ، ولا أنظر اليها من عزة نفسى وجلالة قدرى •• حتى تظن فى نفسها انى لابد أن أكون سلطانا عظيم الشـــأن أو كسرى أنوشروان أو ملك الزمان • فتقول لى بصوت منكسر : « ياسيدى ومولاى ، بحق الله عليـك ، لا ترد القـــدح من يد جاريتك فانى طوع أمرك » • فلا أكلمها • وتعود تقول : « ياسيدى ومولاى ، اشربه ولا تكسر خاطر خادمتك » • وتقربه من فمى ، فأضرب القدح بظاهر كفى أرميه ، وبقدمى أرفسها رفستين •• رفسة وهى قائمة فتوقعهـــا على

الارض صارخة : « ياداهيتي ! » (رفس الهواء بقوة) ورفسة في ضلوعها وهي على الارض لتسكت صرختها «ياداهيتي !» (رفس القفص فتطايرت أباريق البللور وتحطمت هنا وهناك · وقد كانت صيحتاه «ياداهيتي» الاولى والثانية بصوت نسائي رفيع · الآن غلظ صوته جدا هو يصيح « يا داهيتي ! »

صوت : (من الخارج) أرجعوا هذا الزنديق !

أصوات : (من الخارج) اخرس ! سأذبحك ! ··

بقبق : ياداهيتي

(تفتح الابواب والشبابيك ، يطل منها خدم وبوابون ويتقدم اليه البعض متوعدين يدفعـــونه بالايدي والاقدام)

الكورس : الملعون ! اخرس يابن النائحة ! امش من هنا ·

بقبق : أباريقي رأس مالي · مستقبلي وأحـــلامي وزواجي وسلطاني !

البوابون والخدم : من هشم أباريقك ؟ من فعل بك هذا ؟

بقبق : هشمتها عجرفتي وغطرستي وقلة تواضعي ، وقسوتي على عروستي واهانتي لامها وتطاولي على الوزير ظافر بهرام نفسه ·
ياداهيتي !

البوابون والخدم : عجيبة !

صاحب القصر : · هو نفسه صاحب الصوت الآمر وقد أطـل من

المشربية ويبدو جسده للوسط عريانا) اذبحوه بشظايا أباريقه !

(يتقدمون ناحية الجمهور) رأيتم بأنفسكم أيها السادة هذه الصورة التى صاغ أصلها المؤلف الشعبى العظيم فى الف ليلة وليلة منذ الف سنة ، ومغزاها أن أحلام اليقظة تحطم النفس كما حطمت الاباريق، وان الكسلان يعوض فشله بالغطرسة وقلة الحيلة، وأن الحياة والرخاء والسعادة أبناء العمل لا الاحلام . ونشكركم .

« ستار »